أركو لوجيا فلسفة التاريخ بين المثالية والمادية

م٠د٠حامد عبد الحمزة محمد علي
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ
Hamham_71@yahoo.com

الملخص:

في مجال التصورات الهيجلية للتاريخ لم يعد التاريخ غامضا او غير معقول في حقيقته. وإنما يكمن فيه شكل من أشكال العقل، أعلى من شكل الفهم التحليلي. وحسب قوله، كما أوردها جورج سباين " ان الحقيقي هو العقلي. والعقلي هو الحقيقي " بل ذهب الى أكثر من ذلك، في ان كل فترة من فتراته كلا لا يتجزء. وان عملياته وأحداثه مترابطة . بالرغم من ان لها ظاهرا منطقيا مختلفا. ومع هذا. اعتقد هيجل بأن "الضرورة التاريخية" نابعة من ان الحقائق والأسباب الفعالة في التاريخ، قوى لا شخصية، وليست أشخاصا فرديين او أحداثا فردية.

أما ماركس فقد كان فخورا كل الفخر بأنه " اخذ منطق هيجل الجدلي ثم (قلبه رأسا على عقب) ولكنه لم يقصد الى هذا بالتحديد، وانك لتجد ان منطق الجدل عند هيجل يبتدئ بالفكر، ثم ينتقل الى الطبيعة وينتهي بالعقل، وماركس لم يعكس هذا الوضع. فقد أشار الى الحدين الاول والثاني (الفكر والطبيعة) فقط، لا الثالث، وقصد الا ان منطق هيجل في الجدل ابتدأ بالفكر وانتقل الى الطبيعة، اما منطقه الجدلي فقد ابتدأ بالطبيعة وانتقل الى الفكر. ولم يكن ماركس قطبا من أقطاب الجهل بالفلسفة، ولم يفترض برهة واحدة ان أسبقية الفكر على الطبيعة في نظر هيجل، تعني انه قد اعتقد ان الطبيعة من إنتاج العقل. لقد كان يعرف ان هيجل لا يختلف عنه في النظر الى العقل على انه من إنتاج الطبيعة . إنتاج يستند في الاصل الى منطق الجدل. كان على بينة من ان كلمة الفكر بالمعنى الذي قصده هيجل حين عرف المنطق بأنه علم التفكير لاتنصرف الى الشخص الذي يفكر وانما تنصرف الى الموضوع الذي ينصب عليه التفكير.

الكلمات المفتاحية : العقل، فلسفة التاريخ ، الديالكتيك ٠

Abstract

In perceptions of history Alhegelah history is no longer a vague or unreasonable in reality. But it is a form of mind, higher than the form of analytical understanding. According to him, as cited by George Spine "The real is mental. The mental is real," but he went to more than that, in that all the epochs of both an integral part. And that its operations and events are interrelated. Although it has a prima facie logically different. However this. Hegel believed that the "historical necessity" stems from the fact that the effective date and reasons, not personal powers, but not the individual people or individual events.

As Marx was proud of all the pride that he "took the logic of Hegel's dialectic, then (his heart upside down) but it was not meant to precisely this, and you are to find that the logic of controversy when Hegel starts thinking, then moves to the nature and ends with reason, and Marx did not reflect this situation. he pointed to the first binomial and only the second (of thought and nature), not the third, and inadvertently, but the logic of Hegel in the controversy began thinking Turning to nature, either dialectical logic has begun to nature and moved to thought. It was not Marx pole poles ignorance of philosophy, not a moment is supposed one that the primacy of thought on the nature in the eyes of Hegel, means that he might think the nature of the production of the mind. he knew that Hegel is no different with him to look at the mind that it is nature produce production. based on the original to the logic of the argument . He was aware of the thought that the word in the sense that he meant Hegel once defined as the science of logic thinking does not go off to the person who thinks, but go off the topic that riveted him thinking .

Keywords: Mind :Philosophy of History: :Dialectics:

المقدمة

فولتير هو أول من أصطلح تسمية (فلسفة التاريخ) لا مناص من ذلك. بيد ان الفلاسفة تلاقفوا هذا الاصطلاح وأخذوا يضعونه من أولوياتهم في التفكير الفلسفي، وعلى الرغم من أهمية موضوع فلسفة التاريخ في الاتجاهات الفلسفية إلا إنه لم يأخذ مبحثا مستقلا من مباحثها، وإنما جاء ليكون موضوعا من موضوعات المبحث الأبستومولوجي، وعندما أخذت فلسفة التاريخ حيزها في الدرس المعرفي ولدت في جدليتها إشكاليات جديدة مثلت إتجاهات فلسفية متعددة .

ونحن في بحثنا هذا إذ نخوض الدراسة في أركولوجيا فلسفة التاريخ بين إتجاهين بارزين من الإتجاهات الفلسفية وهما الإتجاه المثالي والإتجاه المادي، نعرض تلك الحفريات المتمثلة في (أركولوجيا) النص المعرفي وعلى وفق الرؤى الفلسفية لهما لنصل الى خلاصة القول في تبني أفكارهما، فالمثالية إتجاه رصين في الفلسفة ليس من السهولة إيجاد ثغرات في طريقة تفكيرهم، لكننا نسعى لإيجاد فكرة الانبثاق الأولى لفلسفة التاريخ والتي مثلت أتجاههما الفلسفي وكذلك نذهب الى الانتقادات التي وجهت اليهم والتي نسميها (إشكالية) في منظورنا، ذلك بحسبهم ان الفكرة التي تولد نتيجة متناقضين لا بد من فكرة جديدة تناقضها أيضا فتشكل التركيب الثالث الذي يجعل هناك قضية جديدة أخرى وهكذا هو (الديالكتيك) لحين الوصول الى المطلق وعلى العقل أن يحكم التاريخ، هذا ما جاءت به المثالية، وهذه المقولة هي التي إنبعثت منها النظريات اللاحقة في المنظور المثالي. فإن فلسفة التاريخ المثالية في جميع آلياتها تخضع الى أدوات الفلسفة المثالية ولا يمكن لها الخروج من دائرتها، هذه الردكتالية في التفكير ولدت إشكالية جاءت معالجتها في بحثنا هذا .

أما الإتجاه المادي في الفلسفة فعلى الرغم من استعارته (الديالكتيك الهيجلي) واستعماله في فلسفة التاريخ المادية، لكن طريقة الاستعمال جاءت بأدوات مختلفة تماما عن طريقة المثاليين، ليس هناك ثمة فكرة أو روح مثالية في فلسفتهم تجاه الروح وربما تمسكهم بضرورة إستبدال جمع النقيضين عند المثاليين بكلمة (صراع الطبقات) كان هو معالجتهم المثلى لإشكالية المثالية التاريخية، نعم الديالكتيك هو مثالي لكن الأسلوب كان مادي وتحديدا ماركسي، المادة حلت محل الروح أو الفكرة عندهم فالشيوعية هي أعلى درجات التسلسل المادي و (بروليتاريا) العمال هو المطلق الذي مثل فلسفة التاريخ، كل هذه الأفكار مثلت أركولوجيا– حفريات، كرسنا دراستنا لإيجادها في فلسفتهم العامة، بيد إن هذا المنهج المادي في التاريخ كذلك ولد إنتقادات جعلنا منها إشكالية في فلسفة التاريخ. فبين المثالية والمادية تبلورت الصورة النهائية كما يجب عليه ان تكون القراءة الفلسفية للتاريخ، لأننا لن ننسى ان فلسفة التاريخ برمتها ظهرت بسبب ذلك الإختلاف بين الرؤيا والمنهج، فالرؤيا التي تبناها الفيلسوف والمنهج الذي إتبعه المؤرخ وما بينهما من إنحيازية في الفهم ولد (هوة) كبيرة أدت الى غياب الخطاب العقلاني للتاريخ، وغيابه هذا فسح المجال أمام الخرافة والأسطورة والتفسيرات الغيبية للتاريخ أن تظهر وتملئ الفراغ الحاصل نتيجة غياب التوافق بين الفيلسوف والمؤرخ، ولما كان عصر النهضة هو عصر النهضة الشاملة للمعارف والعلوم، كان لا بد من إعادة النظر في التاريخ كونه أصبح من تداعيات عصر النهضة العلمية فنشأت فلسفة التاريخ، فكان لزاما أن يتوحد الموقف الفلسفي في إتجاهات متعددة أمام المؤرخ ليتسنى له فهم الوقائع التاريخية وقراءة نصوصها قراءة فلسفية .

وقد جاء بحثنا هذا ليعالج تلك الإشكالية في فلسفة التاريخ، وتضمن مبحثين: وكان عنوان المبحث الأول (الاتجاه المثالي وإشكالية فلسفة التاريخ) وقد تضمن مطلبين الأول حمل عنوان الاتجاه المثالي، وذهبنا فيه الى شرح الفلسفة المثالية وما هي الافكار التي قامت عليها هذه الفلسفة، وقد وجدنا من الضروري ان نعرف شيء عنها، ذلك لاننا نعد للدخول الى افكار هؤلاء المثاليون في التاريخ وما هي نظرياتهم في فلسفة التاريخ. أما المطلب الثاني فجاء بعنوان فلسفة التاريخ المثالية، وفيه سلطنا الضوء على النظرية المثالية في فلسفة التاريخ، أي كيف يقرء التاريخ عندهم وبحسب

فلسفتهم التي اقاموا عليها بنائهم. أما المبحث الثاني الذي حمل عنوان (الإتجاه المادي وفلسفة التاريخ المادية) وقد تكون من مطلبين الأول بعنوان الفلسفة المادية أو الإتجاه المادي في الفلسفة، كذلك ذهبنا فيه الى التعريف بالفلسفة المادية واهميتها من بين الاتجاهات الفلسفية وكيف انها مثلت الاتجاه الاخر من الفلسفة المثالية، أما في المطلب الثاني الذي كان تحت عنوان فلسفة التاريخ المادية، الذي فسرنا فيه أراء الماديين في التاريخ من خلال تبنيهم للاتجاه المادي ونظريته في الحتمية التاريخية .

المبحث الأول : الاتجاه المثالي وإشكالية فلسفة التاريخ

المطلب الأول : الاتجاه المثالي ، الفلسفة المثالية [1].

للفلسفة المثالية وجود، قبل ان تمتد مباحثها في أواخر القرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر، وكانت تلك المباحث تتعلق بنظرية الوجود ونظرية المعرفة ومواضيع أخرى كالقيم والجمال، فضلا عن مجالها الحيوي الأساسي المتمثل بالميتافيزيقيا ومباحث الفلسفة المحضة بصورة عامة. ولعل أفلاطون كان أقدم فيلسوف مثالي تبنى المثالية (الموضوعية) [2]، اذ كان يرى ان الجزئيات الحسية ليس لها وجود حقيقي، وإنما صورها النوعية هي ذات الوجود الحقيقي لها. فصورة الإنسان هي الحقيقة، بينما الجزئي المحسوس من بني الإنسان، كزيد وعمرو، ليس له وجود حقيقي إلا بمشاركته في صورة النوع الإنساني .[3]

وعليه فأن المثالي "هو كل ما ينتسب الى الفكرة والفكرة تقابل في معناها، الواقع المادي الخارجي. ومن ثم فأن المثالي هو كل أمر يوجب في العقل او الذهن بما انه فكرة فحسب، ولا يوجد على ارض الواقع. لذلك فأن المعنى الذي يعطى أحيانا للمثالي، يرى ان المثالي مقابل (الواقعي). ومن هنا يمكن القول بأن التفسير المثالي للتاريخ يعني . التفسير الذي لا يعزو حركة التاريخ الى دوافع مادية واقعية كالدوافع الاقتصادية، والطبيعية (الجغرافية)، والفردية (البطولية)، والاجتماعية (البشرية)، بل يفسر التاريخ بدوافع مثالية، او ميتافيزيقية، ليس لها وجود مادي او واقع خارج الذهن او الفكر".

---

١ - اصل كلمة المثالية من (مثال او مثل) ، وتعني صورة الشيء او فكرته التي تسبق وجوده بالفعل ، وكلمة مثال تعني الأمثل ، الأفضل والأحسن ، والقصد من ذلك ان الصانع او خالق الأشياء ، اختار أفضل صورة وأخرجها الى الوجود ، وأول من استخدم هذا المصطلح الفيلسوف اليوناني أفلاطون (ت٢٤٧ ق.م) ويعد مؤسس الاتجاه المثالي في الفكر ، والمثل عنده الصور الأولى (صورة الأشياء في ذهن خالقها) وهي الوجود الثابت والأولي للأشياء وعنها ظهرت الأشياء المختلفة الى الوجود . الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها الى الانجليزية فؤاد كامل وآخرون ، منشورات مكتبة النهضة، (ب،ط) ، بغداد ، ١٩٨٣، ص٤٠٧،٥٨.

٢ - المثالية الموضوعية تذهب الى ان الروح أولية والمادة ثانوية ومستمدة منها، وهي في تميزها من المثالية الذاتية لاترى ان المصدر الأول للوجود العقل الإنساني الشخصي، وإنما ترى انه وعي موضوعي من عالم آخر ، هو الروح المطلق او العقل الكلي وكان أفلاطون أعظم مثالي موضوعي في العصر القديم . اما المثالية الذاتية، هي اتجاه فلسفي يرى انه لايمكن اعتبار العالم الموضوعي موجودا وجودا مستقلا عن نشاط الإنسان الإدراكي وعن وسائله في الإدراك . الموسوعة الفلسفية ، لجنة من العلماء السوفاتيين، بإشراف .م . روزنتال ، تر، سمير كرم ، دار الطباعة ، ط١، بيروت ، ١٩٧٤ ،ص٤٥٦.

٣ - ينظر : بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة . ج٢، سليمانزاده ، (ب،ط)، (ب،م)، ١٤٢٧ هـــ ، ص٤٣٩.

ومما لا شك فيه ان الفلسفة المثالية أنتجت التفسير المثالي للتاريخ، كما سندرسه في موضوعنا هذا .[1] والمذهب المثالي، هو مذهب حديث يمكن تتبع بداياته مع (ديكارت) في مبدئه المشهور بأسم (الكوجيتو)، أنا أفكر أذن أنا موجود، وقد بين ديكارت، ان الشيء الوحيد الذي نعرفه عن العالم الخارجي إنما هو الصور الذهنية او الأفكار التي في أذهاننا . واظهر هذا (باركلي) بوضوح في تقريره ان (الوجود هو كون الشيء مدركا) ثم شيده (كانت) بناءا شامخا على أساس من نقد العقل في جوانبه الثلاثة : النظر والعمل والذوق. وترى هذه المذاهب ان الأشياء او الموجودات ليست سوى انطباعات حسية او أفكار لا يمكن ان تتحقق في الوجود إلا على نحو ما، أي باعتبارها تأملات ذهنية وليست الأشياء الموجودة بذاتها وجودا مستقلا عن القوى المتعلقة التي تدركها. إضافة الى ذلك، ان المثالية الأفلاطونية مثالية (مطلقة) تتجه الى تصور الشيء ذاته لأنها ترى الفكرة او المثال وجودا متميزا هو عنصر المعرفة المطلقة التي هي الوجود ذاته، ذلك الوجود الذي لا يتغير والذي توجد من خلاله الأشياء. اما المثالية الحديثة، فهي مثالية نسبية – ان جاز هذا التعبير – تنظر الى العالم كما هو في الواقع وتركز عنايتها في المعرفة الإنسانية، والمثال فيها مندمج في الأشياء الخارجية غير متعال عليها. وتتميز المثالية القديمة بأن المثل فيها مفارقة لعالم الحس والمادة في حين ان الأفكار في المثالية الحديثة إنما هي أفكارنا نحن عن العالم. وهكذا، على الرغم من ان مصطلح (المثالية) أصبح مستخدما بمعان مختلفة – مع ذلك– توجد مدرسة فلسفية يدل عليها الاسم بمعناه الحرفي، فمن المتفق عليه بصفة عامة ان (باركلي) و (كانت) و(فشته) و(شلنج) و(هيجل) و (لوتسه) و(توماس هل) و(برادلي) و (بوزانكت)، مع الاختلاف بينهم – يمكن ان يطلق عليهم (مثاليون) وهذا لا يعني ان تعريف مصطلح (المثالية) أمر سهل او من الممكن ان يوجد حوله اتفاق واحد .[2] ويمكننا ان نقسم المثالية الى مذهبين :

الأول . المذهب المثالي التصوري او الذاتي. يفسر دعاة هذا المذهب، العالم المادي تفسيرا عقليا روحيا فيقولون ان الوجود هو الإدراك، اي ان وجود الأشياء معناه إننا ندركها، وللمدرك معنى وغير المدرك لا وجود له، والمادة لا تدرك في ذاتها باعتراف القائلين بالمادة، إنها معنى مجرد لا يمكن تصوره بعيدا عن كيفياته، وهذه اللامادية، لا تنكر وجود المحسوسات بدليل إننا ندركها، فهي لا تحول الأشياء الى معان، بل انها تحول المعاني الى أشياء– فيما ذهب باركلي ولكنه فطن الا ان الادراكات الحسية مستقلة عن العقل الذي يدركها، ولهذا حاول تفسيره على إنها موجودة في العقل الإلهي. اما وجود عالم خارجي فليس في وسعنا ان نقيم عليه دليلا، بل ان مرد افتراض وجوده الى الخطأ في تفسير الظواهر العقلية، وكل الأشياء التي ندركها هي الظواهر المتضمنة في تتابع أفكارنا وتعاقب خواطرنا .[3]

الثاني . " المذهب المثالي النقدي. ورائده (كانت)، وعلى وفقه ان المثالية، هي النظرية التي تقرر ان وجود الأشياء في المكان خارج العقل هو أما وجود مشكوك فيه، او زائف، او مستحيل. والأول هو قول المثالية الاحتمالية عند ديكارت،

---

١ - الجنابي ، حامد عبد الحمزه، فلسفة التاريخ عند هيجل وأثرها في منهج البحث التاريخي ،رسالة ماجستير ، مقدمة الى مجلس كلية الأداب، جامعة الكوفة ، ٢٠١١ ، ص٣٥.

٢ ينظر : مبروك ، أمل ، الفلسفة الحديثة ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، (ب،ط)، بيروت، ٢٠١١، ص١٧١-١٧- وللمزيد ينظر : A.C.Ewing.Idealism.ACritical Survey.London Methuem and Co.Ltd. Barns and Noble Books. New York.1974.p.2 .

٣ - ينظر : الطويل ، توفيق ، اسس الفلسفة ، مكتبة النهضة المصرية ، (ب،ط) ، القاهرة ، (ب،ت)،ص١٤٤.

الذي صرح بأن ما لا يحتمل الشك هو التقرير التجريبي، أي (أنا موجود) . والثاني هو قول المثالية التوكيدية عند باركلي، الذي عد المكان وكل الأشياء التي ترتبط به بوصفه شرطا لها لاغنى عنه – نقول : عد المكان والأشياء المرتبطة به انه أمر في ذاته مستحيل، ولهذا صرح بأن الأشياء في المكان هي مجرد تخيلات. لذلك فأنه ميز بين هذه المثالية، وبين المثالية المتعالية او الصورية، وهي المثالية التي اخذ هو بها، وهي التي تقول ان المكان والزمان والمقولات إطارات قبلية موجودة في العقل وبفضلها يدرك العقل مضمون التجربة ". [١]

" وتذهب المثالية النقدية الى التمييز الدقيق بين الظواهر العقلية السابقة على كل تجربة والظواهر التي تكتسب بالتجربة، وتعتبر الأولى ضرورية لإدراك الأشياء ومعرفتها، ويقرر كانت (ان هناك فرق بين ما يرتد الى الذات وما يرجع الى العالم الخارجي، ويرى ان التجربة لا توصف قط بأنها ذاتية خالصة او موضوعية محضة، ويقرر ان الشيء الخارجي يمكن ان يكون موجودا على حدة بعيدا عن العقل الذي يدركه، ولكن معرفته باعتباره موجودا على هذا النحو غير ممكنة.[٢] وهناك منطقة أخرى من مناطق المثالية، لا بد من المرور عليها ومعرفة مساحتها، وهي المثالية المطلقة، والتي مثلها ركن من أركان الفلسفة المثالية، وقطب من أقطاب الفلسفة الحديثة بشكل عام، وهو الفيلسوف الألماني هيجل، الذي تقوم فلسفته على مثالية، مفادها تصورات عقلية تأملية، اذ لا يتيسر لها ان تنسخ الأطراف المتناهية والمتقابلة، إلا من حيث تتصير هي نفسها نظرا تأمليا أي من حيث يغامر العقل بمتناهيات الوعي ويجاوزها فيرقى الى النظر التأملي . [٣]

" وتبقى هذه التصورات التأملية، ميتافيزيقية، فالمعرفة عنده تقوم على أساس العقل بالدرجة الأولى، ولا تقوم على المحسوس الخارجي، والوجود الحقيقي للأشياء، او ما يمكن ان يكون حقيقة واقعة ليس هو المحسوس بل المعقول. وذلك كله يتفق مع الغاية الرئيسة التي يضعها هيجل للفلسفة، وهي فهم الواقع وعقلنته، اي جعله مقبولا من قبل العقل . وجعل الواقع مقبولا من قبل العقل بمعنى جعل الذات والواقع من جنس واحد " .[٤]

كما وان هيجل وسع من صلاحيات العقل، ومنحه قدرات واسعة، وهذا ما أدى به الى ان يحكم بالقول ان العقل يحكم التاريخ، ولم يكن العقل محكوما من قبل التاريخ، وقد اقر بقدرة العقل على إدراك المطلق، فأعاد بذلك الى الميتافيزيقا مكانتها التي افتقدتها مع (كانت). وانه كان مقتنعا بأنه يملك الحقيقة، ولذلك كان مؤمنا بأنه بمأمن من الخطيئة. أما الحقيقة التي كان يملكها فهي (المطلق). وكان بوساطة الاستنتاج والاستدلال العقلي يحاول بناء (المعرفة) التي تضم بين دفتيها الكون بكليته. وكان يقيم مماثلة بين (الفكر) و (الوجود) بيد انه وان سمي مثاليا بالمعنى الميتافيزيقي – كل من ادعى هذا الادعاء ...الا ان لكل مثالي وجهة نظر خاصة ولهيجل أيضا وجهة نظر. ان اغلب المثاليين هم منافسون لبركلي. فالفكر هو وحده ذو حقيقة بالنسبة لهؤلاء، اما مجموعة الأشياء المادية التي تنتشر في الفضاء وتنتظم في الزمان شأنها، ليست سوى تبدٍ ذاتي، وهذه المجموعة لا وجود لها الا ما يكون الفكر عنها من تصور ولا قيام لها الا به . وإننا نجد ان النظرية عند (كانت) ومن سار في نهجه من تلامذته الذين تناولوا بالدرس ما هو متبدء من خلال الصور الذاتية

---

١ - بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج٢، المصدر السابق ، ص٤٤٠.

٢ - الطويل ، توفيق ، اسس الفلسفة ، المصدر نفسه ، ص١٤٥.

٣ - ينظر : هيجل ، في الفرق بين نسق فيشته ونسق شلنج في الفلسفة ، ترجمة وتقديم وتعليق ناجي العولني ، المنظمة العربية للترجمة ،ط١، بيروت ،٢٠٠٧،ص٨٤.

٤ - النجار ، جميل موسى ، فلسفة التاريخ مباحث نظرية ، المكتبة العصرية ، ط١، بغداد ،٢٠٠٧ ص١٩٢.

بالفضاء والزمان . فهي أطروحة مشتركة بين المثالية الذاتية والمثالية النقدية، غير ان هيجل كان من بين من كان يهاجم المثالية النقدية، فهو لا يرى ان الذوات الواعية هي وحدها الحقيقة، وان الوجود هو كناية، ان تبدُء ظاهري . فالفكرة ليست من نتاج الذات الواعية ولا من إبداعها، بل انها من ذاتها الحقيقية الموضوعية، لذلك يطالب هيجل بأسم خاص لمثاليته ، لأنها تتعارض مع المثالية الذاتية في الفلسفة النقدية، وقد أعطاها اسم (المثالية المطلقة)، وهو يرى الأشياء التي نعرفها بالبداهة ليست هي فقط ظواهر بالنسبة إلينا، بل هي، كذلك، الشيء في ذاته. ويقول في مكان آخر : ان ما يمنح الموضوعية الحقيقية للفكر ليست كون الأفكار أفكارا فقط، بل لانها أيضا ما يعتبر بالنسبة للموجودات وللوجود الموضوعي بصورة عامة الشيء في ذاته، من هذه التصورات عن الفلسفة المثالية، بإطارها المطلق، ذهب هيجل في بناء نظريته في التاريخ على أساس الوعي الذي يدركه العقل مثمثلا بـ (المطلق) والذي لابد انه سوف يعي معنى (الحرية) في التاريخ، ليلخص التاريخ على انه الوعي بالحرية [١]

وكان مصرا على الاحتفاظ بالتمييز بين الفهم والعقل، ويرى ان كل المعارف التي يحصل عليها الفهم من نوع رخيص منحط جدا . وتلك هي المعارف التي تتجمع لدى العالم الذي لم يحظ بنصيب كاف من الفلسفة او لدى أصحاب الأساليب الميتافيزيقية القديمة. اما العقل فعلى العكس من ذلك يوصلنا الى أعلى المعرفة وارفعها، ويمكننا من بلوغ المطلق وبطبيعة الحال يتوقف هذا على المعنى الذي يعطيه هيجل للعقل وعلى المعنى الذي يخص به المطلق . وهكذا نرى ان العقل أصيل وذو دور رئيس في فلسفة هيجل . والتفكير الفلسفي لا يفترض اي شيء ورائه والعقل هو مايشغل التاريخ او هو ما يعني به التاريخ، والذي نشأت تصورات هيجل عنه من أصول فلسفته المثالية المطلقة .[٢]

ونتفق مع الرأي القائل ان مذاهب المثالية تتفق، على انها تهدف الى البحث في المعرفة، لأنها ترى ان لاشي في الموجودات الا ويمكن ان يكون متعقلا. وبالتالي لا تسعى المثالية ان تكون مذهبا وجوديا، يقنع بملاحظة ما هو كائن وحاصل، ويقتصر على وصف الأشياء كما تبدو للناظر، بل المثالية مذهب إنشائي يرسم الأشياء بحسب ما حقه ان يكون، ويريد ان يصل الى جوهر الأشياء واصلها .[٣]

ومما يسترعي الاهتمام، ان مذهب المثاليين يعبر بطريقة صحيحة، في جانب معين منه، عما تطمح اليه النظرية العلمية، وهذا ما تم إداركه، لكن باتجاه آخر معاكس للاتجاه المثالي، وهو الاتجاه النقدي الذي ظهر في عصر النهضة ومحاولته التأسيس للطريقة العلمية في البحث التاريخي، بعد ان انتشرت ثورة الاكتشافات العلمية في أوربا، فلم تعد الطريقة القديمة في البحث التاريخي تجدي نفعا، فلم يكن أمام علم التاريخ الا انه ينهض بنفسه ويلتحق بركاب الثورة العلمية .

لذلك فأن مشروع " العلم يهدف بالفعل الى توسيع فهمنا المنهجي للطبيعة بطريقة تزداد اتساعا على الدوام . وهكذا يلقي الضوء على الارتباطات المتبادلة التي لم يكن احد ينتبه إليها من قبل، ويدرج عددا متزايدا على الدوام من أحداث الطبيعة في إطار نظرية تؤلف نسقا متكاملا، ولا يكون لهذا التطور، من حيث المبدأ، أي نهاية ، وفضلا عن ذلك

---

١ - ينظر، كريسون، اندريه، إميل بربيه، هيجل . تر، احمد كوي، دار بيروت للطباعة والنشر، (ب،ط) ، بيروت ، ١٩٥٥، ص٢٩.

٢- ينظر : الديدي، عبدالفتاح، فلسفة هيجل .مكتبة الانجلو المصرية، (ب،ط)، القاهرة، ١٩٧٠ ، ص٣٥.

٣- ينظر : أمين، عثمان، رواد الفلسفة المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف، (ب،ط)، القاهرة ، ١٩٦٧، ص٩.

فأن النظرية العلمية لا تسمح بأية استثناءات، وإنما ينبغي ان تطبق على نحو شامل، فهي اما كل شيء وأما لا شيء . وهكذا يمكن القول ان المذهب او النسق الذي يقول به المثالي هو نوع من المثال الأفلاطوني للعلم الكلي، وهو علم الهي كما تصوره ليبنتز " . [١]

المطلب الثاني : فلسفة التاريخ المثالية .

المثالي في نظراته للتاريخ يرى، انه تتبع وكشف لروح العالم. ويرى ان هناك روحا خفية هي الموجهة للحوادث والانفعالات التي تشكل حوليات امة من الأمم. ذلك لان الفكرة، هي في الحقيقة قائدة للشعوب وقائدة للعالم، وان الهدف الأهم تتبع الأحداث التاريخية وتحليلها عقليا. عن طريق المنهج الجدلي الذي حدده المثالي، كوسيلة لتحقيق غاياته، ومنهجه الجدلي هذا يسير في حركة تصاعدية لا نهائية من خلال تصارع الأضداد،(الشيء ونقيضه ثم الركن الذي يتحول بدوره الى شيء ويوجه ضد جديد) ويرى في هذه الحركة كشف لروح العالم عن ذاتها بشكل تدريجي. وذلك من خلال الأحداث التاريخية التي تصدر عن صراع العواطف، ومنها يتكون المركب الجديد القائم على أعقاب قضيتين متضادتين .[٢]

وبكل تأكيد، طالما هناك فلسفة مثالية، فلا بد ان يكون هناك تفسير مثالي للتاريخ، إذا ما أردنا الربط مع موضوعنا، فأن لكل الفلاسفة المثاليين أراء في التاريخ وحركته والعوامل المؤثرة في مساره وغايته. فكان الفلاسفة الألمان في مقدمتهم، فنلاحظ، ان (كانت) يقدم لنا الربط الحاصل بين المثالية وفلسفتها للتاريخ، فهو يرى ان المثالية، هي النظرية التي تقرر ان وجود الأشياء في المكان خارج العقل، هو اما وجود مشكوك فيه، او زائف او مستحيل. وان الفلسفة المثالية أنتجت التفسير المثالي للتاريخ، وكانت تسير بخطوات مطردة على يد الفلاسفة الألمان الذين صاغوا اشد انواع الفلسفة المثالية الميتافيزيقية تفصيلا في التاريخ الحديث [٣]

" وفي هذا التاريخ الغربي الحديث، كانت هناك صورتان للتفسير المثالي للتاريخ،

الأولى : تمثله نظرية العناية الإلهية التي صاغها الفكر الديني على يد القديس أوغسطين، وهي تفسر حركة التاريخ تفسيرا لا يخرج حتى في تفصيلاته وجزئياته عن الإرادة الإلهية، اذ هي تسير تلك الحركة وتدفع بها حيث تشاء وربما بمعزل كلي عن ارادة الإنسان، وفيها الإنسان محكوم بقوة غيبية، هو مضطر للرضوخ لها، ولقبول إرادتها، على اعتبار انها الموجه الأول للتاريخ". [٤]

والثانية : لها علاقة بانعكاسات الفلسفة المثالية على التاريخ، متمثلة بصورة رئيسية بفلسفة التاريخ عند المثاليين وقد تفرعت عن هذه الصورة وتلك للتفسير المثالي للتاريخ، تفسيرات تستند الى الأفكار الرئيسية لتلكما الصورتين. فعلى سبيل

١- رسل، برتراند، حكمة الغرب،ج٢، تر،فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (ب،ط)، الكويت ، ١٩٨، ص١٩٠.

٢ - ينظر : السعيدي، أمبارك عبد الكريم، مشكلة القوانين التاريخية، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب والتربية ، جامعة قاريونس ، ١٩٩٦، ص٥٥.

٣ - ينظر :حميش، سالم، الموسوعة الفلسفية العربية . مج٢، معهد الإنماء العربي ، ط١، بيروت ، ١٩٨٨، ص١٢١٢.

٤ - Sullivan. John Edward. Prophets of the west .An Introduction to the Philosophy of History.Holt.RinehartandWinston.Inc.Newyork.1984. p.4.

المثال شهدت الحقبة التي راجت خلالها أفكار (المطلق) في الفلسفة المثالية، ظهور فلسفة مثالية، مناظرة وقريبة من فكرة العناية الإلهية، حيث ان الله في اتحاد مباشر مع كل فرد يوجهه الى مسار حياته، وان هناك تدخلا إلهيا في مفاصل التحول البشري في التاريخ تؤكده حقائق الماضي. وتولدت أفكار مثالية أخرى، لكن ؟ بعيدة عن هذا التصور، فتستبعد تدخل الله في المسار البشري في التاريخ، وأبرزها فكرة ان الأفكار تحكم العالم، بحيث تتيح هذه الفكرة حرية واسعة للبشر، وهذا يعني ان للإفراد دور مباشر في صناعة التاريخ . وهناك فكرة مثالية أخرى، جاء بها (رالف امرسون) تذهب الى ان التاريخ يحركه (روح واحد ابدي عام) اذ يقوم الوجود الفردي للإنسان، عبر هذه الفكرة بالتوحد مع كل ما عداه من الناس وهذا الروح او العقل هو شيء مشترك بين أفراد الناس جميعا ، وما التاريخ سوى أعمال هذا العقل . وهذه الأفكار تحيلنا الى قراءة هيجل في هذا المجال .[١]

وعلى الرغم من انه، من الممكن ان نقرأ ونتصور فلسفة التاريخ المثالية من خلال الإطلاع على آراء روادها ومنهجياتهم في البحث التاريخي، بيد ان هيجل ما زال العلامة المضيئة في التفسير المثالي للتاريخ، وجاء هذا من خلال ما قدمه من نظرية جديدة في البناء التاريخي وأحكامه وتفصيلاته، ومن الواضح انه لم يخرج من الإطار المثالي في تفسيراته، لكنه أضاف اليه بقدرة العقل على حكم التاريخ .

وعليه يجب ان نسلط الضوء على فلسفة هيجل المرتبطة بالتاريخ، وهي الفكرة المثالية الجدلية، القائمة على الميتافيزيقيا والحتمية المنطقية. والفكرة بنظره لها بعدان هما : الوجود الخالص او (الروح الكلي المطلق) لهذا العالم او الكون وهو وجود ذاتي قائم بنفسه مفارق وليس له صفة مادية . و (الوجود الخارجي الظاهري) اي الوجود القائم في عالم الحس، ممثلا في الطبيعة. اما فلسفته في الروح فلها أشكال ثلاثة : (الروح الذاتي) الفاعل في الوجود والذي يخلع على الوجود صورته. ويتضمن طرق التفكير واتجاهات العقل والوجدان و (الروح الموضوعي) اي الوجود الممثل بعالم البشر أفرادا أم جماعات ويتضمن كل ما يتصل بقواعد المجتمع والنظم الاجتماعية . و (الروح المطلق) الذي يمثل محطة اتحاد الذاتي والموضوعي . ومن خصائصه انه يعمل عملا خاصا به ومستقلا عنهما . وبرأي هيجل ان (الروح المطلق) يسيطر على العالم وينفذ حكم التاريخ الذي يتبدى في العالم التاريخي ومن خلاله يشرف على تنظيمه . [٢]

وبهذا حاول هيجل ان يصور فلسفته على انها الغاية الوحيدة للكون كله، ومن الصعب تقبل هذا في الفكر بشكل عام – لان الفلسفة الحقيقية والأخيرة بشكل مطلق والتي يمكن ان تمثل صورة للعالم وقد يكون تحققها صعبا. ولكن تكون اقل صعوبة في افتراض ان فلسفة هيجل هي نهاية العالم . لذلك يمكن ان نقول ان العقل الفلسفي، الذي له القدرة على التحكم بكل شيء والإحاطة بالوجود هو (العقل الإلهي)، عندها يمكن ان نقول ان التحقق الكامل لهذا العقل الإلهي، ووجوده بالفعل هو هدف وغاية العالم، ومن ثم فهو غاية التاريخ على وفق التفسير المثالي للتاريخ . وعليه فلا يمكن ان نشك أبدا في قيمة المذهب الهيجلي، والمكانة التي وصل اليها، ولكن لا يمكن ان يتفق معه عاقل على ان فلسفته هي نهاية العالم، ولكن يمكن القول ان العقل الفلسفي الكامل يمكن ان يأتي لتكملة خطة مسيرة الكون .

---

١ - ينظر : ويدجيري، ج، ألبان . المذاهب الكبرى في تفسير التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، ط٢، بيروت، ١٠٧٩، ص١٦٦.

٢ - ينظر : فروخ ،عمر، كلمة في تعليل التاريخ. دار العلم للملايين، ط٣، بيروت ، ١٩٧٧، ص٦-٧.

ويقول ولتر ستيس " تأتي الصورة المطلقة الخيالية من المادة في قمة مراتب الوجود في فلسفة أرسطو. وهذه الصورة المطلقة هي ما أطلق عليه أرسطو اسم (الله) لان الصورة هي مصدر الوجود كله، وهذه الصورة الخالصة لا تحتوي على اي لون من ألوان المادة لان مضمونها هو ذاتها فحسب، ومن هنا فهي ليست صورة لمادة وإنما هي صورة لصورة، او هي صورة الصورة " من هذه الأفكار الأرسطية عزف هيجل على أوتار الفلسفة واستخرج لحنه في تفسيره للتاريخ، على انه المطلق وهو الغاية التي يصلها التاريخ بعد مساره نحو التطور التاريخي الذي لابد له من مطلق . [١]

من هذا الاهتمام المتزايد عند هيجل، في الربط بين فلسفته المثالية، وفلسفة التاريخ، وسعيه لوضع نظرية جديدة في تفسير التاريخ، وقد نجح في مسعاه، بل كان من اشد الفلاسفة المثاليين تأثيرا في الفكر التاريخي ولم تبدو اي فكرة في التاريخ عند هيجل، غريبة عن فلسفته العامة، بل كانت تطبيقا لأرائه ، فنلحظ انه يؤكد في مقدمته لمحاضراته في فلسفة التاريخ، بأن موضوع هذه المحاضرات، هو التاريخ الفلسفي للدنيا .

وعلى وفق هيجل، "ان التاريخ ليس خليطا من المصادفات ولكنه تطورا عاقلا" .[٢] ويأتي هذا التطور العاقل من خلال التقدم في التاريخ، ومن خلال الروح المطلق، وهي تعي ذاتها، وماهيتها، وتعكس الحرية الصيرورة الواعية في تقدم الإنسانية التي تتدرج في صعودها الى وعيها بالحرية، وهذا ما يتجسد في تاريخ الأحداث والعصور العظمى، عصور الحرية، والحرية هي التي تعطي للتاريخ البشري سمته الخاصة . فالإنسان غير الكائنات الأخرى، بوصفه كائنا عاقلا، فهو نشط وفعال، والعمل الحر يطبع حياته وتاريخه، هذا التحرك للتاريخ صوب النظام والمعقولية والحرية يمر بمراحل ويتقدم من خلال الصراع ويتحقق في قفزات ويجد تعبيره في سلسلة من الشعوب الكبرى، وتقدم الحرية في التاريخ هو أساس في تحول أشكال الدول التي هي تجسيد لروح العالم، من هذا جعل هيجل الدولة البروسية هي نهاية المطاف واستقرار التاريخ وغايته . [٣]

واستطاع هيجل ان يستثمر (الديالكتيك) في فلسفته لأجل توفير أداة منطقية، تمكنه من الكشف عن ضرورة التاريخ. ومع ان فكرة الديالكتيك هذه قديمة، ترجع الى الفلسفة اليونانية. الا ان هيجل اتخذ شكل القانون الذي يتضمن "المعارضة والمواءمة" ولا ينطبق على عمليات المنطق فحسب. وإنما يتعداها الى عمليات العالم الطبيعي وعمليات التاريخ البشري أيضا. لقد تصور هيجل ان التاريخ او العالم هو في حالة تغير دائم. لكن هذه التغيرات فيها عامل من عوامل التماثل. اذ ان كل تغير منها يمر من خلال دورة ذات "مراحل ثلاث" هي : (الفكرة) وهي عملية تأكيد وتوحيد و(النقيض) وهي عملية انفصال عن الفكرة ونفي لها و(المركب) وهي توحيد جديد يوائم بين الفكرة والنقيض . لكن هذه المراحل ليست مجرد تكرار يترك العالم على الحالة التي كان عليها من قبل . بل ان (المركب) في كل دورة من هذه الدورات هو، خطوة أرقى في سبيل التقدم عن الفكرة لأنه يجمع في توحيد أرقى العناصر في الفكرة والنقيض وهنا تغدو العملية التاريخية تسير

---

١ - ستيس، ولتر، فلسفة هيجل، تر ن إمام عبد الفتاح إمام، دار النشر،(ب،ط)، القاهرة ن ١٩٨٠، ص٤٨.

٢ - إمام، عبد الفتاح إمام، دراسات هيجلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (ب،ط)،القاهرة ، ١٩٨٤، ص١٧٨.

٣- ينظر : ديمتري، اديب، صناعة التاريخ . مجلة الطليعة، العدد ٩، بغداد، ١٩٧٠، ص١٥٣.

عن طريق النقائض وعندما يصل كل اتجاه الى نهايته الكاملة، يولد اتجاها مضادا يهدمه، وهكذا الى ما لا نهاية، وهكذا يبدو الديالكتيك التاريخي كطريقة استخدمها هيجل في تفسير التاريخ منهجا مرتبط بالتمام بفلسفته العامة . [١]

" وهذه الأضداد بناءا على فلسفة هيجل، تمثل التطور التاريخي، وهي التي تحدد كل شيء، ويبقى هدف الحرية النهائي هو معرفة هذا التطور والاستدلال عليه أيضا بكلمة الحقيقة، وهكذا فالتأكيد ينصب على ان الروح واع. وبتعبير أخر على ان ثمة عقل في التاريخ. وهذا ما جاء به هيجل من جديد على مستوى الفهم التاريخي " . [٢]

وفي هذا يقول هيجل " ان الفكرة الوحيدة التي تجلبها الفلسفة معها وهي تتأمل التاريخ، هي الفكرة البسيطة عن العقل، التي تقول : ان العقل يسيطر على العالم، وان تاريخ العالم، بالتالي، يتمثل أمامنا بوصفه مسارا عقليا ". [٣]

ومن هذه الأهمية لدور العقل تقوم مثالية هيجل في فلسفة التاريخ على الإيمان بدور الفكر المركزي في الحياة والتاريخ . فهو يرى " ان فلسفة التاريخ عنده لا تعني شيئا آخر سوى دراسة التاريخ من خلال الفكر . والواقع ان الفكر جوهري للإنسان، فهو ما يميزه عن الحيوان". [٤]

وهذا التمييز الذي يتمتع به الإنسان، حتم عليه ان يدرس التاريخ بما هو. وعليه يجب دراسة التاريخ من خلال الالتزام بالطريقة التاريخية في دراسة الماضي، والتحقق من أحداثه من غير ان نقحم بعض الأفكار المسبقة على وقائعه فنضلل الناس عن الحقيقة .ويرى إمام عبد الفتاح إمام " ينبغي علينا ان نتبنى بأمانة كل ما هو تاريخي " . [٥]

وفي مجال هذه التصورات الهيجلية للتاريخ لم يعد التاريخ غامضا او غير معقول في حقيقته. وإنما يكمن فيه شكل من أشكال العقل، أعلى من شكل الفهم التحليلي. وحسب قوله ، كما أوردها جورج سباين " ان الحقيقي هو العقلي . والعقلي هو الحقيقي " بل ذهب الى أكثر من ذلك، في ان كل فترة من فتراته كلا لا يتجزء. وان عملياته وأحداثه مترابطة . بالرغم من ان لها ظاهرا منطقيا مختلفا. ومع هذا. اعتقد هيجل بأن "الضرورة التاريخية" نابعة من ان الحقائق والأسباب الفعالة في التاريخ، قوى لا شخصية، وليست أشخاصا فرديين او أحداثا فردية . [٦]

ويصل بنا هيجل الى تقريره، في مقولته ان العقل يحكم التاريخ، هي مجرد حدس او فرض، انتهى اليه، وذلك قبل ان يدرس التاريخ كما يقول، وهذا مما يدل على ان قراءة التاريخ لدى هيجل، كان لها الأثر البارز في تغير منحى التفكير العقلي الهيجلي، ودلالة ذلك ان الحكم تحول عنده من حدس او فرضية الى أحكام عقلية خالصة. ويؤكد في الوقت نفسه ان مقولته الفلسفية، العقل يسيطر على العالم، ليست فرضا في مجال الفلسفة، فهو قد برهن عليها من قبل بوساطة المعرفة النظرية، التي انتهى منها الى ان العقل هو جوهر مثلما هو قوة لا متناهية بالقدر نفسه، على ان هيجل يرى ان فكرته عن

---

١ - ينظر : سباين ،جورج، تطور الفكر السياسي، ج٢، تر ن علي إبراهيم السيد، دار المعارف، (ب، ط)، القاهرة ، ص٨٥٢.

٢ - شاتليه، فرانسو، هيجل. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط٢، دمشق، ١٩٧٦، ص١٩٦.

٣ - هيجل، العقل في التاريخ، المجلد الأول من محاضرات في فلسفة التاريخ . دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٣، بيروت ، ٢٠٠٧، ص٧٨.

٤ -هيجل ، العقل في التاريخ ، المصدر نفسه ، ص٧٧.

٥ - ينظر : إمام ، عبد الفتاح إمام، مقدمته لكتاب محاضرات في فلسفة التاريخ، المصدر السابق، ص٥٢.

٦ - ينظر : سباين، جورج، تطور الفكر السياسي، ج٤، تر، علي ابراهيم السيد، (ب،ن) مصر، ١٩٧١، ص٨٥٣.

سيطرة العقل على العالم، ستشرح كيفية الارتباط بين العقل والتاريخ. وهو ما ذهب اليه في نظريته في التفسير المثالي للتاريخ . [١]

وبالإمكان اعتبار هيجل رائدا أساسيا لفلسفة التاريخ المثالية، وهذا يجعلنا نذهب الى توجيه النقد اليه فيما يتعلق في فلسفته في التاريخ، ونقدنا هذا يمثل الأشكالية التي وقع بها التفسير المثالي للتاريخ . فقد بالغ هيجل كثيرا في مثاليته الميتافيزيقية والتجريدية الى حد جعله الحقائق النسبية ضرورة وحتمية تاريخية، كما إنه إبتعد عن الموضوعية بجعله الحضارتين اليونانية والرومانية عامة ثم المانيا خاصة بالنسبة للتاريخ العالمي بمثابة المحور الرئيس الذي تدور حوله حركة التاريخ كما وقد تجاهلت حضارات كثيرة بأكملها وأسقطها من فلسفته المثالية التاريخية الجدلية إضافة الى جعله التاريخ يتوقف مساره عند الدولة الألمانية التي عدها بنظره نموذجا لوعي الحرية، كما وقد أهمل ديالكتيك الطبيعة وابتعاد أفكاره عن الواقع وقربها من الخيال، والإشكالية الأكبر هو إسقاطه للأثر الاجتماعي وأهميته في الأحداث التاريخية، وتمسكه بالحتمية المثالية في تفسير التاريخ .[٢]

المبحث الثاني : الاتجاه المادي وفلسفة التاريخ المادية

المطلب الأول : الفلسفة المادية (الاتجاه المادي في الفلسفة) .

تطلق(المادية) على المذهب القائل ان الظواهر المتعددة للأشياء ترجع الى أساس واحد (هو المادة) ويرى ان العالم مجموعة مكونة من شيء واحد، ويذهب الى ان المادة أساس كل شيء، وينكر وجود روح قائمة بنفسها قد تتصل بالمادة وقد تنفصل عنها (كالحصان يربط في العجلة ويحل عنها) فيقول موليشت : " مضى الزمن الذي كان يقال فيه بوجود روح مستقلة عن المادة"، فالماديون يرون ان لا شيء غير المادة، مخالفين في ذلك الروحانيين، كما انهم يخالفون الاثنينيين القائلين بأن الظواهر لا ترجع الى شيء واحد بل الى اصلين : المادة ، الروح او العقل . ويرى هؤلاء الماديون ان ما نسميه العقل ليس إلا شكلا من أشكال المادة الدائمة التغير والتنوع، وليست المادة كتلة عديمة الحياة لا حراك بها، تأتي إليها الروح وهي منفصلة عنها فتنفخ فيها وتنتج حياة ، وإنما القوة ملازمة للمادة ومظهر من مظاهر المادة المتنوعة، والحياة والفكر ليستا الا صفتين غريزيتين للمادة ونتيجة لامتزاج جزيئات المادة مزجا معقدا.[٣]

ومن الطبيعي ان ينتج عن المثالية التي دعا اليها بركلي، ان قام احد مواطنيه (تولاند) (١٦٧٠-١٧٢١) معارضا له وداعيا الى مذهب (هوبز) المادي، وقد أكد ان المادة ليست ذلك الشيء الخامد الذي صوره لنا ديكارت، بل هو مادة او هو قوة . المادة هي القوة والحركة والحياة، والعقل بعض خواصها، والتفكير هو وظيفة العقل كما ان الذوق وظيفة اللسان. وكذلك اعتنق هارتلي (١٧٠٤-١٧٥٧) الفلسفة المادية وحاول ان يرد علم النفس الى علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا). وربما كان بريستلي (١٧٣٣-١٨٠٤) أعظم فيلسوف مادي بريطاني في القرن الثامن عشر . وقد عدد أسبابا كثيرة جديرة بالثناء تأيدا للمادية (وبعضعا بالفعل مقتبس من الكتب المقدسة) وحاج قومه بأنه لا يمكن فهم الفكرة المسيحية التي تقرر ان الله في كل مكان الا اذا افترضنا لله وجودا ماديا . وفي فرنسا قويت المادية بفضل

---

١ - ينظر : النجار ، جميل موسى ، فلسفة التاريخ ، المصدر السابق ، ص١٩٤.

٢ - سباين ، المصدر السابق ، ص ٨٤١.

٣ ينظر :رابوبرت، ا.س. مبادئ الفلسفة، تر، احمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٤، القاهرة، ١٩٣٨، ص١٧٢-١٧٣.

ديكارت من غير ان يقصد هو الى ذلك. فقد كان مؤمنا اثنينيا، وكان في الواقع من الكاثوليك الأرثوذكس. ولكن اعتباره الحيوانات الدنيا مجرد آلات، وتفسيره ان الأعضاء يمكن تحريكها بمؤثر حسي من غير تدخل من الروح، كل ذلك أدى (بلاماتري) وآخرون الى ان يستغنوا عن الأرواح بتاتا، ويفسروا الأشياء كلها تفسيرا ميكانيكيا، فقد أكد لاماترى (١٧٠٩-١٧٥١) ان الإنسان ليس كائنا ممتازا، وانه ليس ثمة فروق جوهرية بين النباتات والحيوانات وبني الإنسان، فكلها خاضعة لقوانين واحدة، وهي تمثل أدوارا مختلفة في عملية النشوء والارتقاء. ومن الفلاسفة الماديين الفرنسيين (ديدرو ١٧٣١-١٨٧٤٨)، و(هلفتيوس ١٧١٥-١٧٧١) و(دالامير١٧١٧-١٧٨٣) و(دولباخ١٧٢٣-١٧٨٩) و(كاباني ١٧٥٧-١٨٠٨) واليهم ترجع عبارات مادية مثل الجسم والروح شيء واحد، والإنسان ليس الا مجموعة أعصاب والعقل يفرز التفكير كما يفرز الكبد الصفراء، كل الأشياء حتى ما يسمى بالظواهر العقلية والخلقية، تتبع قوانين المادة وخصائصها وكان علم القوى العقلية (الفرنولوجيا) وليد هذا النوع من المذهب المادي . [1] ،على ان هؤلاء الفلاسفة " لم تخرج تصوراتهم عن الكون على انه كل مؤلف من أجسام مادية، فيه تجري أحداث الطبيعة وفقا لقوانين موضوعية ضرورية . والزمان والمكان والحركة تعد أحوالا للمادة . وكل ظواهر الوعي (الفكر) تتوقف على التركيب الجسماني للإنسان. أما في القرن التاسع عشر نما نوعين من المادية : المادية العلمية . ويمثلها فوجت Vogt ومولشت Moles hot وبوشز في ألمانيا، وكابانيس في فرنسا وقد بلغت اوجها عند ارنست هكل، في مذهبه الواحدي Monisnus . والمادية التاريخية، وهي ما تعنينا في دراسة هذا الموضوع . وهي التي قعد قواعدها كارل ماركس وفردريك انجلز. ولا تعتمد المادية على علوم الطبيعة، بل تسعى الى تحويل المجتمع وعلوم المجتمع. وموقفها يقوم في إرجاع الدولة الى المجتمع المدني او إرجاع أشكال الشعور الى البنية الأساسية الاجتماعية، كما ارجع الماديون في القرن الثامن عشر الفكر الى المادة . والمادية التاريخية تقوم إذن، في المرحلة الأولى، على قلب روابط السببية، واستنادا الى هذا القلب أنشأ أصحابها علما تاريخيا يفسر أحداث التاريخ على أساس العوامل المادية وحدها، وهي ترجع أساسا الى عوامل اقتصادية . ان المادية التاريخية تطبق مبادئ المادية على التاريخ، وعلى المجتمع" . [2]

وذهب فلاسفة المادية، الى ان هناك جدلية في المادة، او حركة للمادة وانتقالها من شكل الى آخر، وهذا التحول في شكل المادة يخضع للجدل (او الديالكتيك)، والمادية الجدلية توجد مستقلة عن الأحداث التاريخية، لأنها تتعلق بحركة المادة وتطورها، ولكن لا يمكن ان تستغني الأحداث التاريخية عن المادة (عند أصحاب التفسير المادي) لان حركة التاريخ، وانتقالها من حالة الى حالة أخرى تخضع لقوانين الجدلية، لذلك فالقوانين الخاصة بالجدل (الديالكتيك) هي أساس حركة التاريخ. والمادية الجدلية تعني حركة المادة وانتقالها من شكل الى آخر، ويعد هذا الانتقال تطورا نحو الأفضل، وتحول من البسيط الى المعقد، لأنها مبدأ الوجود الأول، ولا تتوقف على وجود آخر، وهي في حركتها تسير نحو تطور ما هو عقلي عما هو مادي. كما وتستند المادية الجدلية على المادة والحركة، اي حركة انتقالها من حالة الى أخرى، وفق قوانين الجدلية، وهذه العملية تخضع لجملة قوانين أساسية :

---

١ - ينظر : وولف، عرض تاريخي للفلسفة والعلم . تر، محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ب،ط)، القاهرة ، ١٩٣٦، ص١٠٠-١٠١.

٢ - بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج٢، المصدر السابق ، ص٤٠٧.

الأول . قانون الانتقال من الكم الى الكيف، ويعني ان زيادة كمية الإنتاج تؤدي الى تحسين نوعيته، ويحصل هذا الانتقال في جميع الظواهر الطبيعية والإنسانية، ويتم هذا الانتقال عن طريق الطفرة، اذ لا يعرف حدا فاصلا في تدرج التغيرات الكمية عندما تستحيل الى نوعية، كأنتقال الماء الى ثلج او بخار، نتيجة الحرارة او البرودة وتحول مادة كيمياوية الى أخرى او انصهار المعادن وتحولها الى حركة .

الثاني : قانون صراع الأضداد (التناقض) او الصراع هو القوة المحركة للتاريخ الطبيعي والإنسان معا، وان إنكار ذلك يعني ان العالم في سكون ن والسكون هو موت الكائنات، ولابد من وجود الأضداد لتكون الحركة، لان نواة الوجود (الذرة) متكونة من نواة موجبة، وإلكترون سالب، فكل شيء مبني على التناقض، وهذا العمل يؤدي الى الحركة من خلال الصراع بين المتناقضات، فالصراع هو مصدر الحركة والحياة والتطور .

الثالث : قانون نفي النفي . الحياة الطبيعية الإنسانية مبنية على سلسلة من نفي النفي، كل مرحلة تنفي التي قبلها وتكون أفضل منها، وهكذا الى ما لا نهاية، وليس النفي فناء، وإنما هدم وبناء من جديد. ولكن ثمة سؤال يطرحه الباحث ؟ هل اختلف قانون النفي هذا لدى الماديين عن قانون النفي لدى هيجل ؟ والجواب انه جزء منه، بل تم بنائه على أساس المركب الثالث لدى هيجل.[١]

وهنا علينا ان نذكر بأن المادية الجدلية " هي النظرة العامة للحزب الماركسي اللينيني، وتسمى بالمادية لان تصورها وتعليلها لحوادث الطبيعة والمجتمع، هو ما يسمي فلسفتها، مادية، وتوصف بالجدلية لان اسلوبها في النظر الى الأحداث، او ما يسمى منهجها في البحث والمعرفة، جدلي، والمادية الجدلية هي منطق وانطولوجيا وابستومولوجيا الماركسية اللينينية، والمادية التاريخية هي أخلاقها وعلمها السياسي وفلسفتها في التاريخ . ويرجع الفضل في صياغة المادية الجدلية الى ماركس وانجلز ولينين، ولقد اخذ ماركس وانجلز المادية عن فيورباخ، والجدل عند هيجل، الا انهما بتعبير ماركس (اقتبسا النواة العقلية، وطرحا القشور المثالية)، فمع ان فيورباخ هو الذي قال (ان الفكر هو الذي خرج من الإنسان وليس الإنسان هو الذي خرج من الفكر) الا انه ظل مثاليا من الناحيتين الأخلاقية والدينية . وكذلك رغم ان هيجل هو الذي اكتشف قوانين الجدل في الطبيعة والمجتمع الا انه رد الواقع الى (الفكرة) واعتبره شكلها العارض وإنها خالقته وصانعته، بينما اعتبر ماركس حركة الفكر انعكاسا للواقع وليس العكس، ومع ذلك يدين ماركس لهيجل بأفكاره عن التطور عن طريق التناقض والصراع وتغير الكم الى كيف والطفرة . وطور انجلز افكار ماركس ووضع لها الأساس العلمي، ونقد الفلسفات المثالية والمادية الميكانيكية والاشتراكية – غير العلمية ، وقال ان التفكير الجدلي يرى الوجود كله وحدة متماسكة ترتبط فيه الأشياء والأحداث ارتباطا عضويا وفي حالة حركة وتجدد دائمين ، فهناك شيء باستمرار يولد ويتطور وشيء ينحل ويضمحل، ومن ثم لا يهم المنهج الجدلي ما تبدو عليه الأشياء من ثبات واستقرار في لحظة معينة، لأنها في الواقع تكون في طريقها للفناء، لكن المهم هو الشيء الذي يولد ويتطور، ولو كان هذا الشيء يبدو في تلك اللحظة غير ثابت ولا مستقر. ولا يعتبر الجدل حركة التطور السابقة حركة نمو بسيطة ولكنه يعتبرها تطورا من تغيرات كمية بسيطة الى تغيرات ظاهرة وأساسية، اي تغيرات كيفية، وهي ليست تغيرات تدريجية بل سريعة وفجائية وتحدث بقفزات من حالة الى أخرى "[٢]

---

١ - ينظر : الدليمي، حامد حمزه حمد، فلسفة التاريخ والحضارة، دار الطيف، (ب،ط) واسط ، ٢٠٠٤، ص١٨٦-١٨٧.
وينظر : صبحي، احمد محمود، في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، (ب،ط)،الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص٢٢١.

٢ - الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر،(ب،ط)، تونس، ١٩٩٢،ص٤٠٧-٤٠٨.

وهناك ملامح أخرى في الديالكتيك عند الماديين، أهمها (المعقولية) والتي رسمها هيجل وقبلها ماركس، والتي عزاها هيجل للديالكتيك تماما . فربما كان هيجل يعزف على المعنى المزدوج لكلمة (عقلي) حين أصر على ان أية عملية عقلية يجب ان تكون مفهومة و(حقا) معا، وبما ان كلا من الوضوح والحقيقة متضمنان في صميم معنى العقلي فأن هيجل يستطيع ان يستعملها كاصطلاح للتعليق غير المتحيز حين يؤكد الصفة شبه القانونية او العقلية لأي تقدم ديالكتيكي من الناحية الأيدلوجية . كان لهذا العمل فضل تخليص هيجل من ضرورة إعلان موافقته بإطلاق حكم قيمة صريح . وربما بدون ان يعرف ماركس تماما ماذا يفعل، تبنى هذا الجانب المعياري الجوهري من الديالكتيك الهيجلي لإغراضه الأيدلوجية المختلفة جدا عن أغراض هيجل . اذ ان هناك الاشتراك اللفظي في كلمة (عقلي) هو الذي مكن ماركس من الاحتفاظ بهيئة العالم غير المتحيز، مع عدم حرمان نفسه من فوائد لغة النزاهة غير الشخصية . وبفضله صار باستطاعته ان يترك الديالكتيك يعرض أخلاقياته الخاصة دون ان يقحم فيه اي حكم ذاتي لا لزوم له من أحكام الخطأ والصواب . هكذا كانت فكرة التقدم محفورة بدهاء في تركيب الديالكتيك نفسه، وهكذا كان تفسير ماركس المادي للتاريخ يحمل في ثناياه – ودون اي تأكيد خاص من ماركس نفسه – تلك الفكرة غير المصرح بها جهارا والمفهومة ضمنا، من ان التقدم الثوري للمجتمع حركة شبه مشروعة دائما نحو أشياء أفضل. غير انه ما يزال الديالكتيك سمة أخرى تتلائم مع ماركس، وهي (ضرورته) . فبالنسبة لماركس، العالم قد يكفيه ان يقتصر على وصف شروط التغير الاجتماعي، ولكن كان من الجوهري جدا بالنسبة لاهدافه كأيدلوجي ان يقدر على التحدث عن حركة التاريخ العظمى وكأنها (ضرورية) او (لامناص منها) .[١]

ولقد كان ماركس فخورا كل الفخر بأنه " اخذ منطق هيجل الجدلي ثم (قلبه رأسا على عقب) ولكنه لم يقصد الى هذا بالتحديد، وانك لتجد ان منطق الجدل عند هيجل يبتدئ بالفكر، ثم ينتقل الى الطبيعة وينتهي بالعقل، وماركس لم يعكس هذا الوضع . فقد أشار الى الحدين الاول والثاني (الفكر والطبيعة) فقط، لا الثالث، وقصد الا ان منطق هيجل في الجدل ابتدأ بالفكر وانتقل الى الطبيعة، اما منطقه الجدلي فقد ابتدأ بالطبيعة وانتقل الى الفكر . ولم يكن ماركس قطبا من أقطاب الجهل بالفلسفة، ولم يفترض برهة واحدة ان أسبقية الفكر على الطبيعة في نظر هيجل، تعني انه قد اعتقد ان الطبيعة من إنتاج العقل . لقد كان يعرف ان هيجل لايختلف عنه في النظر الى العقل على انه من إنتاج الطبيعة . إنتاج يستند في الاصل الى منطق الجدل .كان على بينة من ان كلمة الفكر بالمعنى الذي قصده هيجل حين عرف المنطق بأنه علم التفكير لاتتصرف الى الشخص الذي يفكر وانما تتصرف الى الموضوع الذي ينصب عليه التفكير" . [٢]

المطلب الثاني : فلسفة التاريخ المادية (المادية التاريخية)

والمادية الديالكتيكية التاريخية تقوم على أساس أصالة المادة وتقدمها. وان الفكر هو نتاج المادة . وان قوانين المادة هي التي تحكم حياة البشر الاجتماعية . وفي تطبيق هذه المبادئ على التاريخ قالوا : نبدأ بتقرير المقدمة الأولى للوجود البشري بكامله . وبالتالي للتاريخ البشري بأسره الا وهي المقدمة التي تنص على انه لابد للبشر من ان يكونوا في مركز يمكنهم من العيش، والحياة تشمل قبل كل شيء على المأكل والمشرب والمسكن والملبس وأشياء عديدة أخرى ... فالعمل التاريخي هو إنتاج الوسائط الكفيلة بسد هذه الحاجات ... إنتاج الحياة المادية بالذات . وبما ان أسلوب الإنتاج هو

---

١ - ينظر : أيكن، هنري ، عصر الايدولوجيا . تر، محي الدين صبحي ، مراجعة عبد الحميد حسن، منشورات وزارة الثقافة ، (ب،ط)، دمشق، ١٩٧١، ص٢٣٤-٢٣٥.

٢ - كولنجود، ر . ج ، فكرة التاريح، تر ، محمد بكير خليل ، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص٢٢٦.

الذي يحدد نمط حياة الناس في هذا المجتمع او ذاك. فأن جميع ظواهر الحياة الأخرى تتعلق بأسلوب الإنتاج، وتكون نابعة منه. ومع ظهور الإنتاج الفردي ظهر التناقض بين الملكية الاجتماعية والطابع الفردي لعملية الإنتاج، وهذا التناقض يحل عن طريق القضاء على الملكية الاجتماعية وظهور الملكية الخاصة لوسائل ومواد الإنتاج ... وبهذا تم القضاء على النظام البدائي، وساد النظام الإقطاعي كحتمية طبيعية . وعندما تنامت قوى الإنتاج وتغيرت تبعا له علاقات الإنتاج، أصبحت الإقطاعية متناقضة معها . فصار إلغاؤها ضرورة تاريخية، لتحل محلها البرجوازية – الرأسمالية – المتناسبة مع النمط الجديد من قوى الإنتاج وعلاقاته . والسمة الأساسية لزيادة الإنتاج التي نشأت في إطار الرأسمالية هي تشريك العمل – اي جعله مشتركا – فحل العمل الاجتماعي محل الإنتاج ذاتها ... ومن هنا فأن إلغاءها واستبدالها بمجتمع تكون وسائل الإنتاج فيه ملكا مشتركا يصبح ضرورة تاريخية . ثم ان المرحلة الاشتراكية تمهد للمرحلة الأخيرة ، وهي الشيوعية، حيث يتحقق مبدأ (من كل حسب طاقته ، ولكل حسب حاجته) . لكن هنا الانتقال من مرحلة الى أخرى لا يتم بفعل التغيرات الكمية الناتجة من الصراع بين الفرضية ونقيضها، بل يتحقق بالثورة التي تأتي بعد سلسلة التغيرات الكمية – وهكذا ينقسم تاريخ البشرية الى خمس مراحل، ادوار : بدائية – إقطاعية – برجوازية – اشتراكية – شيوعية . وفق مسيرة من التطور الحتمي. بفعل الصراع بين علاقات الإنتاج القائمة وبين العلاقات التي تفرضها قوى الإنتاج ووسائله المتطورة وعن طريق تغيرات كمية تتحول بواسطة العنف والثورة الى تغيرات كيفية.[١]

وهذه التغيرات والتحولات بين العلاقات، انما يدور رحاها في ساحة المجتمع الإنساني، حيث تزعم المادية التاريخية انها هي وحدها الكفيلة بوضع نظرية في المجتمع وتطوره لا تقوم على التأملات النظرية والتقويمات الذاتية، بل الأحوال الفعلية الملموسة والطبيعية للحياة الإنسانية . وترتكز على أهمية عملية الإنتاج والتوالد الماديين وتطورهما . كذلك يزعمون ان المادية التاريخية تحيل الى الأهمية الاجتماعية للنشاط العملي النقدي والنشاط الثوري الإنساني، وتوجه كل عمل اجتماعي الى تشكيل التاريخ والمجتمع في اتجاه الصراع الطبقي لطبقة العمال وتحويل المجتمع في اتجاه شيوعي . وعند المادية التاريخية ليس المجتمع هو مجموع الأفراد الذين منهم يتألف المجتمع، بل هو جماع العلاقات الاجتماعية القائمة على طريقة الإنتاج كما تحررت عينيا وتاريخيا . ووجود الطبقات والصراع بينها لا يتوقف على أماني الناس ورغباتهم، بل هو مرتبط بأحوال الإنتاج كل الارتباط ، وهي بدورها تتوقف على قوى الإنتاج . [٢]

وقوى الإنتاج هذه تعتمد على الإنتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها، وهي مستقلة عن إرادتهم. وعلاقات الإنتاج هنا تطابق مرحلة محدودة من تطور قواهم المادية في الإنتاج، والمجموع الكلي لهذه العلاقات يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع، وهو الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه النظم القانونية والسياسية، والتي تطابقها إشكال محدودة من الشعور الاجتماعي. فأسلوب الإنتاج في الحياة المادية يعين الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة . ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم، بل ان وجودهم هو الذي يعين شعورهم، وعند بلوغ مرحلة معينة من تطور قوى الإنتاج المادية في المجتمع نراها تصطدم مع علاقات الإنتاج القائمة او علاقات الملكية بالتعبير القانوني، وبذا تتحول هذه العلاقات الى أغلال تقيد تطور قوى الإنتاج وهنا تبدأ فترة انقلاب اجتماعي، وبتغير الأساس الاقتصادي يتحول الصرح العلوي الهائل بأسره وذلك بدرجات متفاوتة في السرعة . وعلى ذلك

---

١ - ينظر : عبد الحميد ، صائب ، علم التاريخ ومناهج المؤرخين ، الغدير للدراسات والنشر ، ط١، بيروت ، ٢٠٠١، ١١٤-١١٥.

٢ - ينظر: بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج٢ ، المصدر السابق ، ص٤٠٨.

فالقوى الإنتاجية هي نتيجة للنشاط الإنساني العملي، لكن هذا النشاط ذاته مشروط بالظروف التي يجد الناس أنفسهم يعيشون في ظلها، وبالقوى الإنتاجية التي كسبوها، وبالشكل الاجتماعي الموجود قبل ان يفعلوا ذلك والذي لم يخلقوه والذي هو ثمرة الجيل السابق. ونظرا لهذه الحقيقة البسيطة وهي ان كل جيل تال لغيره يجد نفسه حائزا للقوى الإنتاجية التي كسبها الجيل السابق له وبذا يستخدمها كمادة أولية لإنتاج جديد – نقول انه نظرا لهذا كله تنشأ علاقة في التاريخ البشري، ويتخذ تاريخ البشرية شكلا صار تاريخا للبشرية مادامت قوى الإنسان الإنتاجية وبالتالي علاقاته الاجتماعية قد امتدت واتسع نطاقها . وهذا يستتبع بالضرورة ن ان تاريخ الناس الاجتماعي ليس الا تاريخ تطورهم الفردي سواء أكانوا يشعرون به أم لا يشعرون . فعلاقاتهم المادية هي الأساس الذي ترتكز عليه كافة ما بينهم من صلات، وما هذه العلاقات المادية الا الأشكال والصور الضرورية التي يتحقق فيها نشاطهم المادي والفردي . (١)

ولا غبار في القول ان " ماركس هو رائد المادية الجدلية التي أنتجت المادية التاريخية التي تقوم على أساس من الوعي بالمادية الديالكتيكية . فقد أوضح ماركس في كتابه (الأسرة المقدسة) ان مفهومه للمادية يختلف اختلافا كبيرا عن مفهوم المادية الذي شاع في فرنسا في القرن الثامن عشر والذي وصفه بأنه مفهوم (ميكانيكي– آلي) للمادية . أما مفهومه هو للمادية فهو مفهوم (ديالكتيكي) – جدلي) فهو على غرار هيجل نظر الى التفسير الميكانيكي على انه يلائم علوم الطبيعة والكيمياء لأنها تعالج مواد لا تنطوي على أية مشكلات تتصل بالتطور التاريخي . ولم يعتقد ماركس أبدا ان أساليبها يمكن ان تأخذ بها الدراسات الاجتماعية ، ولقد أشار الى ان العوامل المادية انما تفهم في ضوء مقولات التاريخ . كما واعتقد ان المادية التاريخية التي توصل اليها لتفسير التاريخ هي نظرية (علمية) لا تقل في دقتها عن النظريات العلمية المعروفة في مجال عالم الطبيعة . ويبدو ان الذي عزز لديه هذا الاعتقاد انه كان حريصا في بحثه على تطبيق المنهج العلمي، عن طريق عملية من الملاحظات والاستنباط تماما كما فعل دارون حتى وصل الى نظريته عن التطور البيولوجي".(٢)

اخذ ماركس عن التطور فكرة الصراع، خاصة عند دارون، (الصراع بين الأنواع) أما ماركس فالصراع لديه يكون بين الطبقات، التي يرجع التاريخ اليها في منظوره .(٣) وقد اشترك انجلز مع ماركس في إمكانية اكتشاف قوانين التطور الاجتماعي وتفهم تاريخ البشرية ليس باعتباره نتيجة لإرادة أناس معينين وليس باعتباره حاصلا لنشاط الهي بل كعملية طبيعية موضوعية تجري مثلما تتطور الطبيعة بغض النظر عن إرادة البشر . واثبتوا من خلال ذلك ان المجتمع يتطور من الأشكال الاوطأ الى الأشكال الأرقى عبر التناقضات وعبر الطبقات نحو المجتمع الشيوعي اللاطبقي، وان الشيوعية ليست بدعة من قبل أناس طيبين حالمين بل هي نتيجة للتطور الاجتماعي وضرورة من ضروراته واكتشافا ايضا ان الطبقة العاملة هي تلك القوة النى يتعين عليها ان تحطم الرأسمالية وتبني المجتمع الشيوعي، وبذلك تكون قد اتجهت نحو بناء التاريخ الإنساني القائم على القوانين الاجتماعية والاقتصادية والتي قوامها قوى الإنتاج . (٤)

---

١ - ينظر : انجلز، فردريك ، التفسير الاشتراكي للتاريخ، تر، راشد البراوي، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة ، ١٩٦٨، ص١١٩-١٢١.

٢ - الملاح ، هاشم يحيى، المفصل في فلسفة التاريخ، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ،٢٠٠٥ ، ص٣٣٧-٣٣٨.

٣ - ينظر : السعيدي، حميد خلف، دروس في فلسفة التاريخ، منشورات دار أبجد ، (ب،ط)، بغداد، ٢٠٠٧، ص١٣٢.

٤ - النشار ، مصطفى سامي ، فلسفة التاريخ معناها ونشأتها واهم مذاهبها ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط١، عمان ، ٢٠١٢ ، ص٢١٦.

وهكذا تبدو المادية التاريخية بمثابة التحليل العام لحركة تطور المجتمعات عبر العصور . وعليه فأن المادية التاريخية قد استندت في تحليلها للحركة التاريخية الى المفاهيم التالية .

أولا : العامل المحدد للتطور الاجتماعي – التاريخي . حيث نظرت المادية التاريخية الى المجتمع الإنساني بوصفه جزءا من العالم المادي . كما ان الإنسان ليس سوى جزءا من الطبيعة والنتاج الأرقى لها . وبالعمل يصنع الإنسان نفسه . اما الفعالية الإنتاجية فهي التي سببت تجمع البشر ونشوء اللغة وهي أساس التطور الاجتماعي .

ثانيا : العلاقة الجدلية بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج . وهذه النقطة تبين ان طبيعة الإنتاج في الماركسية تعكس سلسلة جديدة من العلاقات ووحدة جدلية بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج. اذ ان قوى الإنتاج من راس المال وقوة العمل وأدوات تقنية وما يماثلها . تشكل العنصر الأكثر فعالية في هذه الوحدة الجدلية . لأنها تتضمن محتوى فعاليات الإنتاج . في حين ان علاقات الإنتاج أي الهوية الطبقية والنشاط الاجتماعي للعلاقات البشرية وما يماثلها . تعكس الشكل او القشرة بقوى الإنتاج .

ثالثا : البنى التحتية والبنى الفوقية (نظرية القاعدة والهرم) .

لقد عدت الماركسية البنية الاقتصادية للمجتمع وما يماثلها كمن طراز إنتاج الحياة المادية كالملكية لوسائل الإنتاج والتوزيع والتبادل وغيرها من وسائل مادية بمثابة (القاعدة) او البنية التحتية او الأساس . اما الهرم او البنية الفوقية فتتضمن مختلف الأفكار والمؤسسات بالنظريات السياسية والأحزاب السياسية والدولة والتشريع والأخلاق والفن والفلسفة والدين ، وعبر التاريخ كانت القاعدة وهي التي تعكس وتحدد طبيعة وشكل الهرم ، ومع ان العلاقة بين القاعدة والهرم داخل الحياة الاجتماعية ليست بسيطة او آلية . الا ان القاسم المشترك بينهما هو ارتباط (الصراع السياسي – الأيدلوجي) ب (الصراع الطبقي) ومع ان الماركسية قد أقرت أولوية وأهمية عامل الإنتاج والوضع الاقتصادي أساسا لتقرير مجرى التاريخ وتفسيره الا ان انجلز وغيره من دعاة الماركسية قد اقروا تأثير بعض البنى الفوقية . كالنظريات السياسية والقانونية والفلسفية وبعض الآراء الدينية على الصراعات او الأحداث التاريخية .

رابعا : الحتمية التاريخية ومراحل تطور المجتمع البشري . وان تاريخ المجتمع البشري ، حسب المادية الماركسية قد عرف خمسة أساليب إنتاج متتابعة هي : المشاعية البدائية . ومرحلة العبودية والمرحلة الإقطاعية والمرحلة الرأسمالية والمرحلة الاشتراكية .[١]

وفي أضواء ماركس على المادية والديالكتيك، نراه يميز في تفسير التاريخ بين ما يسميه " التاريخ الدنيوي او تاريخ الإنسان، وبين ما يدعوه التاريخ المقدس او تاريخ الأفكار، اذ يرى ان التاريخ الذي يكشف عن طبيعة المجتمعات وتطوراتها وصراعاتها الداخلية هو تاريخ الإنسان وحركته عبر بعدي الزمان والمكان، وليس التاريخ الذي يجعل الإنسان أداة تستخدمها الفكرة – او العقل المطلق – للكشف عن نفسها وذلك كما يترأى لهيجل او لغيره ممن يتماهى معه في هذه الرؤية كالاشتراكي الفرنسي برودون . ومن ثم فان مسيرة التاريخ البشري عند ماركس لايحدوها عامل ميتافيزيقي يتمثل على سبيل المثال، في الروح المطلق الذي ابتدعه هيجل، بل تدفع بها عنده بالدرجة الأولى عوامل مادية اقتصادية تحرك الطبقات الاجتماعية في صراعاتها المستمرة التي سوف تنتهي بتحقيق المجتمع اللاطبقي (الشيوعي) . وبذلك يبلغ التاريخ غايته وهي غاية تختلف عن الغاية التي رسمها هيجل لمسار التاريخ متمثلة بوعي الروح المطلق بذاتها وتحقيقها لحريتها .

---

١ - ينظر:الملاح ، هاشم يحيى ، دراسات في فلسفة التاريخ ، المصدر السابق ، ص١٥٠،١٤٩،١٤٨،١٤٧،١٤٦.

ولا تقتصر هذه الغاية عند ماركس، كما هي عند هيجل ايضا على تفسير الماضي فحسب، بل هي تهدف ايضا الى استشراف المستقبل، وقبل ذلك فهم الحاضر الرأسمالي الذي كان يعيشه ماركس وأراد ان يبرهن على تناقضاته وحتمية انهياره وضرورة ان يحل المجتمع اللا طبقي والنظام الشيوعي محله في المستقبل " .[١]

ويذهب ارنولد توينبي، في كتابه، مختصر دراسة التاريخ، الى تسمية المادية التاريخية بأنها " جوهر الحقيقة " [٢]

ويتفق الباحث مع رأي توينبي بأن المادية التاريخية هي جوهر الحقيقة، في تفسير التاريخ، او هي على الأقل وجه من أوجه الحقيقة، وذلك من وجهتين : الأولى، لان هذا التفسير جمع بين المادية، من جهة كونها تمثل اتجاها فلسفيا، ليس بالحديث، بدلالة ان جذوره تمتد الى الزمان الإغريقي، فالمادة كانت قد شغلت حيزا كبيرا من التفكير الفلسفي في التاريخ اليوناني. وبين الديالكتيك من جهة أخرى، وهو الآخر ليس بالجديد، فهو قديم بقدم الاتجاه المادي في الفلسفة اليونانية، حيث يحيلنا هذا الى الديالكتيك الأفلاطوني ومن بعده الأرسطي، على الرغم من اختلاف الديالكتيك المادي الجدلي عنه، الا إننا نعتقد ان التغيير الذي أحدثه الماديين على الديالكتيك هو تغير في استخدام الألفاظ والأهداف والغايات .لكن الفكرة هي تبقى قائمة على أساس التضاد والتناقض. فهيجل سعى بالديالكتيك الى اجتماع النقيضين ووجود التركيب الثالث، وماركس ذهب به الى صراع الطبقات وتضادها. إذن المادة والديالكتيك اجتمعا في نسق فلسفي واحد تضمن التفسير التاريخي . والوجهة الثانية : ان ماركس انفرد في عصره، بهذا التفسير، كما وان لم يسبقه احد، ولم يتطرق الماديون قبله لهذا التفسير المادي للتاريخ، كما ويحق لنا ان نطلق عليه صفة جوهر الحقيقة على اعتبار انه تفسير قد ساد في عصر تراطمت فيه أمواج العلم والمعرفة وتنافست الآراء والنظريات، نحو سباق الحقيقة، ففي عصر الرأسمالية وما شهدته من تطور في كافة المجالات، كان لابد ان يرافقه أخطاء، ترافق كل نهضة، فقد نشا التفسير المادي للتاريخ في عصر تخلص فيه الإنسان من عبودية رجال الكنيسة وكهنتها ، ليلتحقوا بعبودية آلات الإنتاج ووسائلها، ولم يجد الإنسان نفسه حرا بين هذا وذاك، فلم يكن ثمة مخلص وضامن للحرية والعدالة غير الشيوعية القائمة على المادية الجدلية والتي أنتجت تفسيرا ماديا للتاريخ، يكون اقرب الى نفوسهم، من غيره من التفسيرات الأخرى، كما وان واقعية هذا التفسير جعلته فعلا جوهرا للحقيقة .

وقولنا ان المادية التاريخية هي واقعية، هل يعني انها علمية، او هي علم من علوم الفلسفة ؟ وللإجابة نقول : ان المادية التاريخية هي علم فلسفي يتناول بالبحث قوانين حياة اي مجتمع وتطوره في إطار ما يميز تلك القوانين عن القوانين الشاملة للوجود عمومان فالقوانين التي اكتشفتها المادية ليست سارية المفعول في الطبيعة، اذ انها جميعا قوانين اجتماعية من حيث شكل مفعولها ومن حيث مضمونها ن اما المجتمع فهو لا ينفصل عن حياة الناس ونشاطهم، ولذلك لا يمكن لقوانين الحياة الاجتماعية ان تتجلى الا عبر نشاط الناس. وان المادية التاريخية كعلم فلسفي انما تدرس الجوانب والاتجاهات والقوانين العامة في حياة المجتمع البشري وتطوره، وهي تتناول دوما قضية العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي وقضية موضوع وذات (فاعل) العملية التاريخية ومهما كانت المسألة التي تتناولها المادية التاريخية فان

---

١ - النجار، جميل موسى ، المصدر السابق، ص٢١١. وينظر : صبحي، احمد محمود، في فلسفة التاريخ، المصدر السابق ، ص٢٣٢.

٢ - توينبي ، ارنولد ، مختصر دراسة التاريخ . ج٢ ، تر ، فؤاد محمد شبل ، مراجعة محمد شفيق غربال ، واحمد عزت عبد الكريم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١، القاهرة ، ١٩٦٤، ص٩٤.

الأسلوب الفلسفي في تحليل الظاهر الاجتماعية، يتجلى دائما في مراعاة التناسب بين الموضوعي والذاتي بين الظروف والإنسان ن فالمادية التاريخية إذن تدرس أولا : السنن العامة لحياة وتطور اي مجتمع بشري ولما كانت هذه القوانين تفعل فعلها بأشكال متباينة في العصور التاريخية المختلفة ، فان المادية التاريخية تدرس اعم مراحل تطور التاريخ البشري العالمي والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية وقوانين ظهورها وازدهارها وفنائها . وهي تدرس ثانيا : العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي، وهذا من شأنه ان يتيح لها إمكانية التفسير الصائب لقوانين العملية التاريخية، ليس كمفعول لقوى غيبية تفرض إرادتها على البشر ن بل كمفعول للقوانين التاريخية عبر تصرفات الناس وعبر نضالهم في سبيل بلوغ أهدافهم التي لاتمت أحيانا بأية صلة لسير التاريخ عموما ولكنها تتشابك معه تشابكا ضمنيا عضويا .[١]

ومن العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي، ترى المادية التاريخية، في أهم فرضياتها الأساسية، ان الوجود الاجتماعي هو الذي يقرر الوعي الاجتماعي، ويعد أساسا له، اي الإقرار بأسبقية المادة على الوعي، فالمادة هي كل الوجود كما تفترض الفلسفات المادية عموما، كما اتضح لنا من قبل. والوجود الاجتماعي يعني الحياة المادية للمجتمع، او نشاط الإنسان في مجال الإنتاج المادي، والعلاقات الاقتصادية بين الناس ضمن عملية الإنتاج . اما الوعي في إطار المجتمع، فيراد به أفكار الناس وحياتهم الروحية والنظريات التي يؤمنون بها . وقد أكد ماركس وانجلز ان الوجود الاجتماعي أمر سابق للوعي الاجتماعي، اذ ان الإنسان قبل ان ينصرف للاشتغال بالعلوم والفنون والفلسفة كان عليه ان يوفر لنفسه الطعام والشراب والمأوى . وهذه الأمور لا مكن الحصول عليها بدون العمل . والعمل يعني إنتاج قيم مادية تعتمد بدورها على الوسائل المادية، وهذا الإنتاج يكون الأساس الذي تتطور بالاستناد إليه مؤسسات الدولة ومفاهيم المجتمع القانونية والفنية والدينية وسواها . وهكذا لابد ان تكون العلاقات الاقتصادية، علاقات مادية تؤدي بالضرورة الى تشكيل العلاقات الأساسية من بين مجموعة العلاقات الاجتماعية الكثيرة التي تربط بين أبناء المجتمع . وهنا يبدو جليا تفسير حركة التاريخ على وفق ما تراه المادية التاريخية، بان المجتمع طالما كان يضم طبقات متعددة، فأن هناك صراعا يدور بين هذه الطبقات على امتلاك وسائل الإنتاج، فحركة التاريخ تستمد وجودها من تلك الصراعات التي ظلت تدور في المجتمعات البشرية عبر الأزمنة، والتي تعبر، عن التناقض في الإنتاج المادي للمجتمع لاسيما بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج . فحركة التاريخ حركة جدلية تستند الى الفكرة والنقيض والمركب الناتج عنهما . [٢] إذن المادية التاريخية "تعني إرجاع أسباب حركة التاريخ الى عوامل مادية، اي المادة تتحكم بحركة التاريخ " . [٣]

ونحن نسلط الأضواء على المادية التاريخية، لابد وان نعرف بشكل مقتضب آراء ماركس حول الثورات، لان تركيز ماركس على فكرة المراحل التاريخية جعله يبحث عن القوى المحركة او الفعل الحاسم الذي يعمل على الانتقال من مرحلة الى أخرى وهذا الفعل لايمكن الا ان يكون الفعل الثوري الذي يحدق القطيعة مع الماضي. وبهذا الصدد فان الثورات عند ماركس هي قاطرة التاريخ . ولهذا فأننا سنجد ان بين الثورات الاجتماعية والعيوب الجيولوجية، تشابه من وجهة نظر واحدة، فالتطور المتصل للمشهد التاريخي يقطع فجأة، واتصال طبقاته يتوقف، وما يأتي بعد الانقطاع محدود بما سبق، ولكنه ليس تكملة مباشرة له على ان الثورات الاجتماعية تختلف عن العيوب الاجتماعية، في انها نتائج أعمال الإنسان .

---

١ - ينظر : النشار ، مصطفى سامي ، فلسفة التاريخ ، المصدر السابق ، ص٢١٠.
٢ - ينظر: النجار ، جميل موسى ، فلسفة التاريخ ، المصدر السابق ، ص٢٢١،٢١٨.
٣ - الدليمي ، حامد حمزه حمد ، فلسفة التاريخ والحضارة ، المصدر السابق ، ص١٨٨.

فالثورات الاجتماعية تحدث نقلة نوعية سريعة للمجتمعات، اذ تختصر الزمن وتعجل بالتقدم متجاوزة الفعل الاستمراري والتطوري البطيء المتدرج . [١]

وعلى الرغم من الإنتشار الواسع الذي حققه التفسير المادي للتاريخ إلا إنه وقع في إشكالية جعلت من أصحاب الإتجاهات الفلسفية الأخرى يعدونها مآخذ في المنظومة المعرفية لفلسفة التاريخ المادية، ونقاط الإشكالية هذه هي :

١ – في الوقت الذي تذهب فيه الماركسية الى تفسير مختلف عن تفسير المثالية للتاريخ، فإنها ذهبت الى تصور مجتمعا مستقبليا خاليا من الطبقات والصراعات البشرية، وهذا التصور لا يعدو كونه (يوتوبيا)

٢ – ركزت على أولوية وإحادية العامل الإقتصادي دون العوامل الأخرى، فكانت في ذلك من النظريات الواحدية في تفسير التاريخ، فقد أظهرت نفسها بمظهر الحل الأكمل والنهائي الذي يتمتع بكل صفات العلمية والإنسانية لتاريخ الفكر البشري .

٣ – تنبأت الماركسية في حينها بالثورة الإشتراكية في المجتمعات الصناعية لا سيما بريطانيا بوصفها نموذجا للدولة الرأسمالية المتقدمة، إلا إنها ظهرت في روسيا والصين وكلاهما لم يكن قد تكاملت فيه المرحلة الرأسمالية.

٤ – لم تعترف للإرادة الإنسانية بدورها الفعال والإيجابي الكامل في فلسفتها الخاصة بالحتمية والحرية بل ربطتها بالعوامل السببية ربطا شبه حتمي ، كما لم تعطي لمفهوم الحرية أبعاده الإنسانية المناسبة .

٥ – لقد أرجعت التاريخ الى مجرد ظاهرة صراع طبقات، وبهذا تكون قد جعلت من الحقيقة الجزئية مفهوما كليا يحيط بكل شيء، وهي تكون قد جعلت منها بمثابة ميتافيزيقا للتاريخ، أضافة الى إستنادها للتبرير الفلسفي حول وجود الإنسان وهويته، من هنا نظر اليها بعضهم على انها نظرية في التقدم لا في التطور، وإنها حين تنبأت بفردوس أرضي خال من الطبقات تكون قد أوقعت نفسها في تقاطع بين عالم القيم وعالم الواقع.

٦ – لم تأخذ الماركسية في عين الإعتبار صيغ تطور المجتمعات الصناعية لاحقا، إذ أخذ الصراع الطبقي أشكالا جديدة معقدة، فقد أدى التطور العلمي والتقني في أوروبا وغيرها من المجتمعات الصناعية الى تحول مركز الثقل والإنتاج الى الجهاز الإداري والفني ورافق ذلك نشوء طبقة وسطى جديدة من أصحاب الحرف العالية والمستخدمين وهذه الطبقة لم تنحل حسب العرف الماركسي الى قسمين أحدهما مع البروليتاريا والأخرى مع البرجوازية، بل نشأت طبقة ضخمة متزايدة الأعداد من موظفي الإدارة العامة مقابل التقلص النسبي للطبقة العاملة أزاء التقنية الآلية المتقدمة.[٢]

الخاتمة

من خلال سير البحث في مشروعنا هذا تم التوصل الى عدة نقاط عدت بمثابة خاتمة الكتابة فيما ذهبنا اليه.

١ – إن الفلسفة المثالية بوصفها واحدة من الإتجاهات الفلسفية أخذت حيزا كبيرا في الدراسات الفلسفية، وهذا أدى الى التمعن في دراسة جذورها وتفرعاتها، فأنقسمت الى فلسفة مثالية تصورية أو ذاتية، والى فلسفة مثالية نقدية والتي كان رائدها الفيلسوف الألماني (كانت) وفي بحثنا هذا وجدنا إننا أقرب الى المثالية النقدية، وذلك لأن فلسفة التاريخ تنضوي تحت مجالات الفلسفة المثالية النقدية.

٢ – وجدنا إن هيجل هو من منح فلسفة التاريخ المثالية هيبتها، وذلك لأنه جاء بمقولة لم تكن معهودة من قبل وهي (العقل يحكم التاريخ) وقد إستدرك هذه المقولة هيجل لأنه منح صلاحيات واسعة للعقل بعد أن كانت قد قوضت من قبل

---

١ - ينظر : الكحلاني، حسن محمد، فلسفة التقدم، مكتبة مدبولي ، (ب،ط)، (ب،م)، ٢٠٠٣، ص١٤١.

٢ - بنظر : الملاح، هاشم يحيى وأخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، (ب،ط) جامعة الموصل، ١٩٨٨، ص١٥٣.

أصحاب نظرية (التاريخ يحكم العقل) وقد جعل هيجل من العقل يدرك المطلق، وما التاريخ إلا جزء من هذا الإدراك العقلي.

٣ – الفلسفة المثالية أنتجت فلسفة التاريخ المثالية، وهذا الإنتاج كان يسير مطردا مع الفلسفة الأم في كل خطواتها، فجميع الفلاسفة المثاليين كانت لهم آراء وتصورات عن فلسفة التاريخ، لكن كلها كانت على وفق ما تقتضيه فلسفتهم فليس منهم من خرج من هذا النسق العام.

٤ – إن جوهر فلسفة التاريخ عند المثاليين عامة وهيجل خاصة هو (الوعي بالحرية) فقد جعل هيجل من الوعي بالحرية هو أساس فهم التاريخ، وحتى نظرية التقدم جعل منها إدراك لحالة الوعي بالخطوات المتقدمة ناحية البناء التاريخي.

٥ – الفلسفة المادية لا تنكر وجود العقل بل تجعله ضمن أحد خواصها، وان التفكير هو الوظيفة الأساسية للعقل، فالمادية لا تقوم كما صورها البعض على انها حالة من الجمود واللاحياة، بل إنها تمثل جدلية واضحة من خلال انتقال الحركة في المادة من شكل الى اخر، وهذه الحركة تخضع الى ما يسمى بـ (الديالكتيك) وهذه القوانين التي تمثل حركة المادة هي بحد ذاتها تمثل نوع الحركة .

٦ – في فلسفة التاريخ المادية إن الفكر هو إنتاج المادة وان قوانين المادة هي التي تحرك حياة البشر الإجتماعية وان العمل البشري هو إنتاج الوسائط الكفيلة بسد حاجات البشر.

٧ – إن ماركس هو رائد المادية الجدلية التي أنتجت المادية التاريخية التي تقوم على أساس الوعي بالمادية الديالكتيكية التي عبر عنها ماركس بقوله ان فهمه للمادة هو فهما ديالكتيكيا، إذ جعل من الصراع هي الفكرة الأساسية فيها، علما إنه أخذ فكرة الصراع هذه عن دارون، في نظريته في (الصراع بين الأنواع).

٨ – إن المادية التاريخية قد أستندت في تحليلاتها للحركة التاريخية الى مفاهيم إجتماعية تعلقت بالجانب التطوري في المفهوم البشري، ومن ثم فإن المجتمع عند أصحاب المادية التاريخية هو الحتمية النهائية للتاريخ.

قائمة المصادر والمراجع .

١. إمام، عبد الفتاح إمام، دراسات هيجلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (ب، ط)،القاهرة، ١٩٨٤.

٢. أمين، عثمان، رواد الفلسفة المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف، (ب، ط)، القاهرة، ١٩٦٧.

٣. انجلز، فردريك، التفسير الاشتراكي للتاريخ، تر، راشد البراوي، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة ، ١٩٦٨.

٤. أيكن، هنري، عصر الايدولوجيا . تر ، محي الدين صبحي، مراجعة عبد الحميد حسن، منشورات وزارة الثقافة، (ب، ط)، دمشق، ١٩٧١. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة . ج٢، سليمان زاده، (ب، ط)، (ب، م)، ١٤٢٧ هـ .

٥. توينبي، ارنولد، مختصر دراسة التاريخ . ج٢، تر، فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، واحمد عزت عبد الكريم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، القاهرة ، ١٩٦٤.

٦. الجنابي، حامد عبد الحمزة، فلسفة التاريخ عند هيجل وأثرها في منهج البحث التاريخي، رسالة ماجستير، مقدمة الى مجلس كلية الأداب، جامعة الكوفة، ٢٠١١.

٧. الحفني، عبد المنعم ،الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة والنشر،(ب، ط)، تونس، ١٩٩٢.

٨. حميش، سالم، الموسوعة الفلسفية العربية . مج٢، معهد الإنماء العربي، ط١، بيروت ، ١٩٨٨.

٩. الدليمي، حامد حمزه حمد، فلسفة التاريخ والحضارة، دار الطيف، (ب، ط) واسط، ٢٠٠٤ ، ص١٨٦–١٨٧. وينظر: صبحي، احمد محمود، في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، (ب، ط)،الاسكندرية، ٢٠٠٤.

١٠. الديدي، عبدالفتاح، فلسفة هيجل .مكتبة الانجلو المصرية، (ب، ط)، القاهرة، ١٩٧٠.

١١. ديمتري، اديب، صناعة التاريخ . مجلة الطليعة، العدد ٩، بغداد، ١٩٧٠.
١٢. رابوبرت، ا.س. مبادئ الفلسفة، تر، احمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٤، القاهرة، ١٩٣٨.
١٣. رسل، برتراند، حكمة الغرب ،ج٢، تر ،فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (ب، ط)، الكويت، ١٩٨٣، ص١٩٠.
١٤. سباين، جورج، تطور الفكر السياسي، ج٤، تر، علي ابراهيم السيد، (ب،ن) مصر ، ١٩٧١.
١٥. سباين، جورج، تطور الفكر السياسي ، ج٢، تر ن علي إبراهيم السيد ، دار المعارف ، (ب،ط)، القاهرة.
١٦. ستيس، ولتر، فلسفة هيجل، تر ن إمام عبد الفتاح إمام، دار النشر،(ب،ط) ، القاهرة ن ١٩٨٠.
١٧. السعيدي، أمبارك عبد الكريم، مشكلة القوانين التاريخية، رسالة ماجستير، مخطوطة، كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، ١٩٩٦.
١٨. السعيدي، حميد خلف، دروس في فلسفة التاريخ، منشورات دار أبجد، (ب، ط)، بغداد ، ٢٠٠٧.
١٩. شاتليه، فرانسو، هيجل ،.منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط٢، دمشق، ١٩٧٦.
٢٠. الطويل، توفيق، اسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، (ب، ط) ، القاهرة ، (ب،ت).
٢١. عبد الحميد، صائب، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، الغدير للدراسات والنشر، ط١، بيروت ، ٢٠٠١.
٢٢. فروخ، عمر، كلمة في تعليل التاريخ . دار العلم للملايين، ط٣، بيروت ، ١٩٧٧.
٢٣. الكحلان، حسن محمد، فلسفة التقدم، مكتبة مدبولي، (ب، ط)، (ب، م)،٢٠٠٣.
٢٤. كريسون، اندريه، إميل بريبه، هيجل. تر، احمد كوي، دار بيروت للطباعة والنشر، (ب، ط)، بيروت، ١٩٥٥.
٢٥. كولنجود، ر . ج، فكرة التاريح، تر، محمد بكير خليل، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ، ١٩٦١.
٢٦. مبروك، أمل، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، (ب،ط)، بيروت ، ٢٠١١.
٢٧. الملاح، هاشم يحيى، المفصل في فلسفة التاريخ، مطبعة المجمع العلمي، بغداد،٢٠٠٥.
٢٨. الملاح، هاشم يحيى وأخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (ب، ط) جامعة الموصل،١٩٨٨.
٢٩. الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء السوفاتيين، بإشراف.م . روزنتال، تر، سمير كرم، دار الطباعة، ط١، بيروت، ١٩٧٤.
٣٠. الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها الى الانجليزية فؤاد كامل وآخرون، منشورات مكتبة النهضة، (ب، ط)، بغداد، ١٩٨٣.
٣١. النجار، جميل موسى، فلسفة التاريخ مباحث نظرية، المكتبة العصرية، ط١، بغداد ،٢٠٠٧.
٣٢. النشار، مصطفى سامي، فلسفة التاريخ معناها ونشأتها واهم مذاهبها، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، عمان ، ٢٠١٢ .
٣٣. هيجل، العقل في التاريخ، المجلد الأول من محاضرات في فلسفة التاريخ . دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٣، بيروت ، ٢٠٠٧.
٣٤. هيجل، في الفرق بين نسق فيشته ونسق شلنج في الفلسفة، ترجمة وتقديم وتعليق ناجي العولني، المنظمة العربية للترجمة ،ط١، بيروت ،٢٠٠٧.

٣٥. وولف، عرض تاريخي للفلسفة والعلم. تر، محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنش، (ب،ط)، القاهرة، ١٩٣٦.

٣٦. ويدجيري، ج، ألبان . المذاهب الكبرى في تفسير التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، دار القلم، ط٢، بيروت ، ١٠٧٩.

المصادر الأجنبية

1. A.C.Ewing. Idealism. ACritical Survey. London Methuem and Co. Ltd. arnsandNobleBooks.NewYork.1974.
2. Sullivan .John Edward . Prophets of the west .An Introduction to the Philosophy of History. Holt. Rinehart and Winston . Inc . New york .1984